الهزيمة النفسية

تأليف فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان
حفظه الله ورعاه

دار زاد الآخرة

الدار الأثرية
للنشر والتوزيع

الهزيمة النفسية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى : ١٤٣٢ - ٢٠١١

الدار الأثرية للنشر والتوزيع

مدينة نصر - القاهرة - جمهورية مصر العربية

جوال: ٠٠٢٠١٨٣٦٢٠٨٦٤

dar_elatharia@yahoo.fr - dar_elatharia1@hotmail.com

دار زاد الآخرة

٦ نهج بريطانيا - عنابة - الجزائر

جوال : ٠٥٥٠٥٥٦٦٢٥

lemloumourad@hotmail.fr

دار الفرقان

جمهورية مصر العربية - أشمون - سبك الأحد

جوال : ٠١٨٢٤١٨١٨٥ - ٠١٠٣٥٠٣٥٦٣ - ٠٤٨٣٤٢٢٢٣٧٢

Abou_mohammed99@hotmail.com

الهزيمة النفسية

تأليف

فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

دار الفرقان
دار زاد الآخرة
الدار الأثرية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾

يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

• **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّهُ قَدْ كُتِبَ عَلَى الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، مُنْذُ اللَّحْظَةِ الْأُولَى لِمِيلَادِهِ، أَنْ يُوَاجِهَ أَكْبَرَ التَّحَدِّيَاتِ، وَأَنْ يُجَابَهَ بِأَجَلِّ الصُّعُوبَاتِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ الْكُفْرَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا وَجْهَهُ الْقَبِيحَ، يُزَيِّنُهُ رُبَّمَا، وَلَكِنَّهُ لَا يَمْلِكُ أَنْ يُغَيِّرَهُ.

وَمِنَ اللَّحْظَةِ الْأُولَى وَالْعَدَاوَةُ قَائِمَةٌ، وَالْحَرْبُ مُضْطَرِمٌ أُوَارُهَا، وَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا

مِنْ رِوَايَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها فِي بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَيْفَ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى خَدِيجَةَ رضي الله عنها، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ إِلَى ابْنِ عَمِّهَا وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَرَأَ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ وَكَتَبَهُ، فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ مَا أُوحِي إِلَيْهِ بِهِ، قَالَ وَرَقَةُ: إِنَّهُ النَّامُوسُ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- عَلَى مُوسَى عليه السلام، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ[1]، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَعَجِّبًا: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟!»، فَقَالَ وَرَقَةُ: إِنَّهُ مَا أَتَى رَجُلٌ قَوْمَهُ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ، إِلَّا عُودِيَ[2].

---

(١) الْجَذَعُ: الشَّابُّ الْقَوِيُّ.

(٢) أخرجه البخاري (٣، ٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠).

فَهَذِهِ الْحَرْبُ الْمُضْطَرِمَةُ -بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْكُفْرِ، وَبَيْنَ الْيَقِينِ وَالشَّكِّ، وَبَيْنَ الْإِيمَانِ وَالشِّرْكِ- حَرْبٌ دَائِبَةٌ أَبَدًا مُنْذُ أَنْ جَاءَ نُوحٌ عليه السلام، إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

وَتَأَمَّلْ فِي قَوْلَةِ وَرَقَةَ، رَضِيَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ أَجْمَعِينَ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الصَّحَابَةِ فِي «الإِصَابَةِ»، وقَالَ: «ذَكَرَهُ الطَّبَرِيُّ، وَالْبَغَوِيُّ، وَابْنُ قَانِعٍ، وَابْنُ السَّكَنِ، وَغَيْرُهُمْ فِي الصَّحَابَةِ»[1] وَمَا عَتَّمَ أَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الْوَحْيُ قَدْ فَتَرَ، وَلَكِنَّهُ يُؤْمِنُ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم هَذَا الإِيمَانَ.

تَأَمَّلْ فِي قَوْلِهِ: «لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ

(١) «الإصابة» لابن حجر (٦/ ٧٠٨).

إِلَّا عُودِيَ».

مَا جَاءَ إِنْسَانٌ بِالْحَقِّ إِلَّا حَارَبَهُ أَهْلُ الْبَاطِلِ، وَمَا دَعَا إِنْسَانٌ إِلَى الْإِيمَانِ، إِلَّا حَارَبَهُ أَهْلُ الْكُفْرَانِ، وَمَا صَدَعَ إِنْسَانٌ بِالْإِسْلَامِ، إِلَّا وَقَفَ فِي وَجْهِهِ أَهْلُ الشِّرْكِ، وَمَا ثَبَتَ رَجُلٌ عَلَى الْيَقِينِ إِلَّا حَارَبَهُ أَهْلُ الشَّكِّ، تِلْكَ سُنَّةُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي الْمُرْسَلِينَ، وَلَمْ تَتَخَلَّفْ فِي أَتْبَاعِ الْمُرْسَلِينَ وَلَنْ تَتَخَلَّفَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا صَدَعَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، كَانَ أَمْرُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ مَكْشُوفًا لَا التِبَاسَ فِيهِ، وَلَا غُمُوضَ يَعْتَرِيهِ، وَكَانَ الْأَمْرُ وَاضِحًا عِنْدَ أَتْبَاعِهِ، مُتَأَلِّقًا فِي أَرْوَاحِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ، وَكَانَ وَاضِحًا مُتَأَلِّقًا -أَيْضًا- فِي أَذْهَانِ أَعْدَائِهِ، مِمَّنْ رَفَضَ الدَّعْوَةَ وَحَارَبَ الدَّاعِيَ، وَوَقَفَ فِي صَفِّ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمَّا زَادَ الْأَذَى بِمَكَّةَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ، أَذِنَ لَهُمْ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَهُمْ إِنَّمَا كَانُوا -قَبْلُ- يَرْكَبُونَ مُتُونَ الْقِفَارِ، فَالْآنَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَخُوضُوا ثَبَجَ الْبِحَارِ، وَلَا عَهْدَ لَهُمْ بِالْمَاءِ، وَعَهْدُهُمْ مَوْصُولٌ بِالرِّمَالِ، وَلَكِنَّهُمْ لِأَجْلِ الْفِرَارِ بِدِينِهِمْ، مِنَ الشِّرْكِ -تَزْخَرُ بِهِ مَكَّةَ حَوْلَهُمْ- فَرُّوا بِإِسْلَامِهِمْ إِلَى الْحَبَشَةِ، فَتَبِعَتْهُمْ قُرَيْشٌ، وَلَمْ تَتْرُكْهُمْ يَأْمَنُونَ فِي مَأْمَنِهِمْ، وَيَسْكُنُونَ فِي مَسْكَنِهِمْ، وَيَقَرُّونَ عَلَى قَرَارِهِمْ، عِنْدَ رَجُلٍ أَمَّنَهُمْ، فَلَمْ يُظْلَمْ مِنْهُمْ وَاحِدٌ، وَقَامُوا عَلَى أَمْرِ دِينِهِمُ الَّذِي هَدَاهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَيْهِ، خَيْرَ قِيامٍ فِي أَرْضِهِ لَدَيْهِ.

فِي رِوَايَةِ أُمِّ سَلَمَةَ: أَنَّ قُرَيْشًا أَرْسَلَتْ عَمْرًا (هُوَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) -وَلَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمَ بَعْدُ- وَأَرْسَلَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ.

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: أَنَّ قُرَيْشًا أَرْسَلَتْ عَمْرًا، وَأَرْسَلَتْ عُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ.

وَعَلَى أَيِّ حَالٍ فَقَدْ ذَهَبَ وَافِدَانِ مُرْسَلَانِ، مِنْ قِبَلِ قُرَيْشٍ، مُحَمَّلَانِ بِالْهَدَايَا لِلنَّجَاشِيِّ وَبَطَارِقَتِهِ، وَوَصَلَا إِلَى الْبَطَارِقَةِ أَوَّلًا، فَدَفَعَا إِلَيْهِمُ الْهَدَايَا، وَافْتَرَى مَنِ افْتَرَى مِنْهُمَا عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ مِنَ السُّفَهَاءِ غِلْمَانًا قَدْ خَرَجُوا عَلَى مَعْهُودِ دِينِهِمْ، وسَفَّهُوا أَحْلَامَ قَوْمِهِمْ، وَعَابُوا آلِهَتَهُمْ، وَصَبَئُوا عَنْ دِينِ قُرَيْشٍ بِآبَائِهَا وَأَجْدَادِهَا، وَقَدْ آوَاهُمْ مَا آوَاهُمْ مِنَ الْمَسْكَنِ، وَطَوَاهُمْ مَا طَوَاهُمْ مِنَ الْأَرْضِ، حَتَّى صَارُوا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ؛ عِنْدَكُمْ، فَكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، حَتَّى يَرُدَّهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ؛ لِيَرَوْا فِيهِمْ رَأْيَهُمْ.

فَلَمَّا عُرِضَ الْأَمْرُ عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَقَدْ دُفِعَتْ إِلَيْهِ

الْهَدَايَا مِمَّا يُحِبُّ، وَكَلَّمَهُ بَطَارِقَتُهُ فِي أَنْ يَرُدَّ أُولَئِكَ إِلَى قَوْمِهِمْ وَهُمْ أَوْلَى بِهِمْ، قَالَ: «لَا يَكُونُ حَتَّى أَسْمَعَ مِنْهُمْ»؛ لِيُقِيمَ الْعَدْلَ، وَلِيَنْصِبَ مُوَازِينَ الْحَقِّ، وَلِكَيْ لَا يُظْلَمَ بِأَرْضِهِ أَحَدٌ كَانَ فِي جِوَارِهِ، وَآوَاهُ ظِلُّ بِلَادِهِ. فَلَمَّا نَزَلَ ذَلِكَ بِجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- نَزَلَ بِهِمْ أَمْرٌ شَدِيدٌ.

فَقَالُوا: إِذَا عُرِضْنَا عَلَيْهِ غَدًا، مَاذَا نَقُولُ؟

فَقَالَ جَعْفَرٌ: نَقُولُ وَاللَّهِ! مَا بَلَّغَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نَكْتُمُ مِنْهُ شَيْئًا.

كَانَ النَّجَاشِيُّ نَصْرَانِيًّا، وَعِنْدَهُ بَطَارِقَتُهُ مِنْ رُؤَسَاءِ مِلَّتِهِ وَأَهْلِ دِينِهِ، فَكَيْفَ يُجَابِهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْقَوْمَ -وَهُمْ فِي قَبْضَتِهِمْ- بِمَا يَكْرَهُونَ؟

قَالُوا: لَا وَاللَّهِ! لَنُخْبِرَنَّهُ بِمَا أُرْسِلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَافِيًا.

فَلَمَّا مَثُلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، سَأَلَهُمْ عَمَّا أُرْسِلَ بِهِ الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمْ؟

فَتَكَلَّمَ جَعْفَرٌ رضي الله عنه، وَأَخْبَرَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ حَقِيقَةِ الدَّعْوَةِ، وَأَخْبَرَ بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ الْعَرَبِ، وَمِنْ أَمْرِ قُرَيْشٍ؛ إِذْ يَأْكُلُونَ الْمَيْتَةَ، وَيُعَاقِرُونَ الْخَمْرَ، وَيَذْبَحُونَ لِلْأَصْنَامِ، وَيَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، وَلَا يُرَاعُونَ حُرْمَةً، وَيَعْتَدُونَ وَيَسْلُبُونَ، وَيَنْهَبُونَ، وَيَتَقَاتَلُونَ لِأَتْفَهِ الْأَسْبَابِ، وَيَقْطَعُونَ الْأَرْحَامَ، وَيَعْتَدُونَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَالْأَيْتَامِ، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَأَلَّا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَأْكُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَأَنْ يُجَانِبُوا الْمُحَرَّمَاتِ، وَأَنْ يَبْتَعِدُوا عَنْ أُمِّ الْخَبَائِثِ، وَأَمَرَهُمْ بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ،

وَالْعَطْفِ عَلَى الْأَيْتَامِ، وَبِالْبَرِّ وَالْجُودِ وَالصَّدَقَةِ وَالْكَرَمِ. وَمَضَى يُعَدِّدُ مِنْ حَسَنَاتِ الْإِسْلَامِ.

فَقَالَ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكُمْ مِمَّا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ شَيْءٌ؟

قَالَ جَعْفَرٌ: نَعَمْ.

قَالَ: فَاعْرِضْ عَلِيَّ.

فَعَرَضَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ، لَمْ يَعْرِضْ عَلَيْهِ إِلَّا هَذَا.

فَبَكَى النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَى بَطَارِقَتُهُ حَتَّى صُبَّتْ دُمُوعُهُمْ عَلَى صُحُفِهِمْ.

ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: وَاللَّهِ! إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى، لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ.

هُوَ وَحْيُ اللَّهِ، كَلَامُ اللَّهِ، بَيَانُهُ الْخَاتَمُ إِلَى خَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، لِتَسْتَقِيمَ أُمُورُ الْحَيَاةِ، لِيرْتَفِعَ الْجَوْرُ وَالْظُّلْمُ عَنِ النَّاسِ، كَيْ يَأْمَنَ الْمَرْءُ عَلَى دِينِهِ، وَلِيَأْمَنَ الْمَرْءُ عَلَى عِرْضِهِ، وَلِيَأْمَنَ الْمَرْءُ عَلَى مَالِهِ، وَلِيَأْمَنَ الْمَرْءُ عَلَى دَارِهِ وَأَرْضِهِ. فَصَرَفَهُمْ مُكَرَّمِينَ.

فَلَمَّا انْصَرَفَ عَمْرٌو وَصَاحِبُهُ، قَالَ: لَآتِيَنَّهُمْ فِي غَدٍ بِمَا تُسْتَأْصَلُ بِهِ شَأْفَتُهُمْ، وَتُجْتَثُّ بِهِ خَضْرَاؤُهُمْ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ - وَكَانَ أَتْقَى الْقَوْمِ -: إِنَّ لَهُمْ رَحِمًا -يَعْنِي: دَعْهُمْ وَشَأْنَهُمْ-، وَلَا عَلَيْكَ مِنْهُمْ، فَقَدْ أَدَّيْنَا مَا عَلَيْنَا، قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَأَفْعَلَنَّ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ! إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ فِي ابْنِ مَرْيَمَ، قَوْلًا عَظِيمًا،

فَاسْتَدْعَاهُمْ، فَتَآمَرُوا بَيْنَهُمْ مُتَشَاوِرِينَ قَبْلَ أَنْ يَمْثُلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، مَاذَا تَقُولُونَ لَهُ؟

فَقَالُوا: وَاللَّهُ! لَا نَقُولُ إِلَّا مَا بَلَّغَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نَكْتُمُ مِنَ الْبَلَاغِ شَيْئًا.

فَلَمَّا كَانُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟

قَالَ جَعْفَرٌ بِلِسَانِهِمْ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ.

فَأَخَذَ عُودًا بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زَادَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَى مَا قُلْتَ مِثْلَ هَذِهِ.

فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ، فَقَالَ: وَإِنْ تَنَاخَرْتُمْ وَاللَّهِ!

ثُمَّ أَمَّنَهُمْ فِي أَرْضِهِ الَّتِي صَارَتْ لَهُمْ وَطَنًا، وَأَمَّنَهُمْ

فِي دَارِهِ الَّتِي صَارَتْ لَهُمْ دَارًا[1].

وَنَلْحَظُ هَاهُنَا أَمْرًا مُهِمًّا: هُوَ أَنَّ الدَّعْوَةَ يَنْبَغِي أَلَّا يُهْزَمَ أَبْنَاؤُهَا الْهَزِيمَةَ النَّفْسِيَّةَ؛ لِأَنَّ الْكَافِرِينَ جَادُّونَ فِي إِلْحَاقِ الْهَزِيمَةِ النَّفْسِيَّةِ بِالْمُسْلِمِينَ.

وَالدَّعْوَةُ إِذَا صَارَ أَهْلُهَا إِلَى التَّبْرِيرِ وَدَفْعِ التُّهَمَ عَنْهَا ذَهَبَتْ رِيحُهَا، فَمَا فَتِئَ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ يَحِيكُونَ الْمُؤَامَرَاتِ، وَيَنْسِجُونَ الِاتِّهَامَاتِ لِلدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مُنْذُ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَمِنْ أَكْبَرِ مَا تُصَابُ بِهِ الدَّعْوَةُ فِي مَقْتَلٍ يُصْمِيهَا: أَنْ يَنْشَغِلَ الدُّعَاةُ فِي الرَّدِّ عَلَى الِاتِّهَامَاتِ، وَفِي تَبْرِيرِ

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٤٠، ٤٤٠٠)، والطبراني في الكبير (٢/ ١١٠)، وأورده الألباني في صحيح السيرة النبوية (١/ ١٦٥ وما بعدها).

الْأَحْكَامِ؛ لِأَنَّهُ بِسَبَبِ ذَلِكَ تَبْقَى الدَّعْوَةُ حَبِيسَةَ قَفَصِ الاتِّهَامِ، وَحِينَئِذٍ يُصَابُ أَهْلُ الدَّعْوَةِ، بِالذِّلَّةِ وَالْخُنُوعِ وَالْمُهَادَنَةِ، وَرُبَّمَا دَفَعَهُمُ الْحَنَقُ وَالْغَيْظُ وَالْكَمَدُ إِلَى حَمَاسَةٍ مُتَهَوِّرَةٍ، فَيُحْسَبُ ذَلِكَ عَلَى الدَّعْوَةِ بَعْدُ، وَهَذَا وَهَذَا مِمَّا يَضُرُّ بِدَعْوَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ، وَلَكِنْ لَا تَنَازُلَ عَنِ الْبَيَانِ وَالْبَلَاغِ.

عَلَى أَهْلِ الدَّعْوَةِ إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ: أَلَّا يَتَنَازَلُوا عَنِ الْبَيَانِ، وَلَا عَنِ الْبَلَاغِ؛ لِأَنَّهُمَا مِنْ أَعْظَمِ وَظَائِفِ الدَّعْوَةِ وَالدُّعَاةِ، نُبَلِّغُ النَّاسَ دِينَ اللَّهِ، وَنُبَيِّنُ لِلنَّاسِ سَبِيلَ الْمُرْسَلِينَ، وَلَا نَتَنَازَلُ عَنِ الْبَلَاغِ وَلَا عَنِ الْبَيَانِ، فَإِنْ حَجَبْنَاهُ أَوْ هَادَنَّا فِيهِ؛ مَسَخْنَا دِينَ اللَّهِ، وَعَادَ الدِّينُ مِزَقًا مُرَقَّعَةً فِي ثَوْبِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَلَا كَذَلِكَ دِينُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ.

فَلْنَعُدْ إِلَى كَلَامِ جَعْفَرٍ، وَإِلَى كَلَامِ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، فِي مَوْقِفٍ عَصِيبٍ، هُدِّدُوا فِيهِ بِالْقَتْلِ، وَفِي أَحْسَنِ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ تَوَقُّعًا يُرَدُّونَ إِلَى قُرَيْشٍ، فَيَصِيرُونَ فِي قَبْضَةِ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ، وَيَنْزِلُ بِهِمْ سُوءُ الْعَذَابِ.

وَهَذَا مَوْقِفٌ إِذَا تُؤُمِّلَ فِيهِ ظَاهِرًا، مِنْ غَيْرِ اسْتِبْطَانٍ لِحَقِيقَةِ الدَّعْوَةِ بَاطِنًا، يَدْعُو بَادِيَ الرَّأْيِ إِلَى الْمُوَادَعَةِ وَالْمُهَادَنَةِ، حَتَّى يَفِرَّ الْقَوْمُ بِدِينِهِمْ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ الَّتِي هُمْ فِيهَا غُرَبَاءُ، لَا لِسَانُهَا بِلِسَانِهِمْ، وَلَا عَادَتُهَا بِعَادَتِهِمْ، وَلَا دِينُهَا بِدِينِهِمْ، وَإِنَّمَا هِيَ أَرْضٌ هُمْ فِيهَا غُرَبَاءُ، وَهُمْ فِيهَا مُسْتَضْعَفُونَ مَظْلُومُونَ، وَهَذِهِ قُرَيْشٌ تُلَاحِقُهُمْ، فَلَمْ تَقْنَعْ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ التَّشْرِيدِ وَالتَّعْذِيبِ وَالِاضْطِهَادِ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى مَأْمَنِهِمْ ومَقَرِّهِمْ؛ لِكَيْ تَسْتَجْلِبَهُمْ مِنْهُ خَارِجِينَ،

لِتَفْعَلَ بِهِمُ الْأَفَاعِيلَ.

تَقْوِيمُ هَذَا الْمَوْقِفِ عَلَى حَسَبِ قَوَاعِدِ السِّيَاسَةِ وَالدِّبْلُومَاسِيَّةِ، قَاضٍ بِأَنْ يُهَادَنَ النَّجَاشِيُّ بِقَوْلٍ لَيِّنٍ، وَأَنْ يُحْجَبَ شَيْءٌ، وَيُطْوَى أَمْرٌ، مِمَّا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: لَا، نُجَابِهُ بِأَنْ نَقُولَ فِي مَرْيَمَ وَفِي ابْنِهَا، مَا نَسْتَنكِفُهُ وَنَسْتَبْعِدُهُ وَنَعْتَقِدُ ضِدَّهُ، وَنَحْنُ فِي قَبْضَتِهِ، وَلَا شَوْكَةَ لَنَا وَلَا قُوَّةَ لَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا حِيلَةَ لَنَا، حَتَّى نَفِرَّ بِجِلْدِنَا، ثُمَّ بَعْدُ فَلْنَنْظُرْ دِينَ رَبِّنَا.

هَيْهَاتَ!! مَا هَكَذَا عَلَّمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ بَلْ صَدَعُوا بِالْبَيَانِ، وَأَتَوْا بِالْبَلَاغِ، كَمَا تَعَلَّمُوا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ لَا يُمَارِسُ وَظِيفَةً، وَإِنَّمَا يَحْمِلُ رِسَالَةً، الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ رِسَالَةٌ وَلَيْسَتْ بِوَظِيفَةٍ، الرِّسَالَةُ تُمَازِجُ الدِّمَاءَ وَتَجْرِي فِي الْعُرُوقِ، الرِّسَالَةُ تَكُونُ فِكْرَةً مُلَازِمَةً، وَعَقِيدَةً مُسْتَقِرَّةً فِي الْعَقْلِ، وَفِي الْقَلْبِ وَالْفُؤَادِ.

وَأَمَّا الْوَظِيفَةُ: فَوَقْتٌ يُبْذَلُ نَظِيرَ مَالٍ يُحَصَّلُ، وَلَا عَلَى الْمَرْءِ بَعْدُ مِمَّا كَانَ، وَلَا مَا وَقَعَ وَمَا طَارَ، فَهِي وَظِيفَةٌ تُؤَدَّى وَالسَّلام.

وَأَمَّا الرِّسَالَةُ: فَهِي الْحَيَاةُ، وَأَمَّا الرِّسَالَةُ؛ فَهِي حَقِيقَةُ الْوُجُودِ، وَقَدْ بُعِثَ الْأَنْبِياءُ وَالْمُرْسَلُونَ بِالرِّسَالَةِ، بِحَقِيقَةِ الْبَلَاغِ ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ٥٩] تَعْبِيدُ الْخَلْقِ لِلْخَالِقِ الْعَظِيمِ، وَظِيفَةُ الْمُرْسَلِينَ، وَهِيَ رِسَالَتُهُمْ فِي حِينٍ.

لِأَنَّهَا رِسَالَةٌ لَا وَظِيفَةٌ؛ هَانَتْ بِإِزَاءِ أَدَائِهَا الْحَيَاةُ.

وَمَا تَبْلُغُ الْحَيَاةُ إِنْ دَاهَنَ الْمَرْءُ فِي دِينِ اللَّهِ؟

وَمَا تَكُونُ الْحَيَاةُ إِذَا مَسَخَ الْإِنْسَانُ دِينَ اللَّهِ؟

وَمَا تَبْلُغُ قِيمَةُ الْحَيَاةِ إِذَا خَانَ الْمَرْءُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟

لَقَدْ صَدَعُوا بِالْحَقِّ: لَا وَاللَّهِ! لَا نَقُولُ لَهُ إِلَّا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ، كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا كَانَ.

قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي ابْنِ مَرْيَمَ؟

قَالُوا: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ، خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، لَا بِإِلَهٍ وَلَا بِنِصْفِ إِلَهٍ، وَلَيْسَ بِابْنٍ لِلَّهِ، وَإِنَّمَا هُوَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ الْمُرْسَلِينَ.

كَلِمَةُ الْحَقِّ تُلَامِسُ الْقَلْبَ، وَقَوْلَةُ الصِّدْقِ تَسْتَقِرُّ فِي سُوَيْدَاءِ الْفُؤَادِ.

صَدَعَتْ كَلِمَةُ الْحَقِّ بِصِدْقِهَا وَحَقِّهَا قَلْبَ الرَّجُلِ، فَصَارَ نَاطِقًا بِتَوْحِيدِ اللَّهِ، رَادًّا عَلَى بَطَارِقَتِهِ الْمُزَيِّفِينَ لِدِينِ اللَّهِ، فَلَمَّا نَخَرُوا، قَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ، وَاللَّهِ مَا زَادَ ابْنُ مَرْيَمَ عَلَى هَذَا شَيْئًا، وَحَمَلَ عَودًا مِنَ الْأَرْضِ، فَجَعَلَهُ بِإِزَاءِ أَعْيُنِهِمْ.

عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، لَابُدَّ مِنَ الْبَلَاغِ عَلَى تَمَامِهِ، وَلَابُدَّ مِنَ الْبَيَانِ عَلَى كَمَالِهِ، وَإِلَّا فَهِيَ الْخِيانَةُ لِدِينِ اللَّهِ وَمَسْخُ الْإِسْلَامِ بِتَرْقِيعِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، بِأَفْكَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنَ الدُّنَاةِ الْحَقِيرِينَ، جَرِيمَةُ الْجَرَائِمِ فِي دُنْيَا اللَّهِ؛ لِأَنَّ مَسْخَ الدِّينِ الْعَظِيمِ؛ تَحْرِيفٌ لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَطَمْسٌ -وَهَيْهَاتَ- لِحَقِيقَةِ الدِّينِ.

وَهَذَا لَنْ يَكُونَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ أَبَدًا، دِينُ اللَّهِ ظَاهِرٌ، وَدِينُ اللَّهِ غَالِبٌ، وَدِينُ اللَّهِ مَحْفُوظٌ، وَلَنْ يَضُرَّهُ أَحَدٌ، وَلَا شَيْءٌ.

الْهَزِيمَةُ النَّفْسِيَّةُ: فِيمَا يَفْعَلُ الْكَافِرُونَ مِنْ أَفَاعِيلَ، مِنْ أَجْلِ سَحْقِ الْمُسْلِمِينَ نَفْسِيًّا، مَعَ تَرْوِيجِ الْأَكَاذِيبِ، وَبَثِّ الدِّعَايَاتِ وَالشَّائِعَاتِ الْمُغْرِضَةِ بَيْنَ صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِتَمْزِيقِ رَوَابِطِهِمْ، وَتَوْهِينِ عُرَى اجْتِمَاعَاتِهِمْ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَصِيرُوا مُمَزَّقِينَ مُتَفَرِّقِينَ، لِيصِيرَ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ، وَحِينَئِذٍ تَذْهَبُ شَوْكَتُهُمْ، وَتَضْمَحِلُّ قُوَّتُهُمْ، وَتَذْهَبُ رِيحُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ تَنَازَعُوا فَفَشِلُوا، فَأَذْهَبَ اللَّهُ رِيحَهُمْ، وَبَدَّدَ اللَّهُ طَاقَتَهُمْ فَحَطَّ قَدْرَهُمْ، فَعَلَا عَلَيْهِمْ غَيْرُهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ الْمُجْرِمِينَ.

وَإِنَّ دَمَ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ كَدَمِ كَلْبٍ، كَمَا قَالَ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، بَعْدَ أَنْ تَمَّتِ الْقَضِيَّةُ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقُرَيْشٍ، فِي صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَتَمَّ التَّوْقِيعُ وَانْتَهَى الْأَمْرُ، فَجَاءَ أَبُو جَنْدَلٍ يَرْسُفُ فِي أَغْلَالِهِ، وَأَبُوهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ مُمَثِّلًا لِقُرَيْشٍ، فَقَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ لَا تَرُدُّونِي لِلْكَافِرِينَ، وَإِلَّا فَتَنُونِي فِي الدِّينِ، وَالْمُسْلِمُونَ مُتَلَدِّدُونَ حَائِرُونَ، قَدْ نَفَذَتْ سِهَامُ الْقَضِيَّةِ، وَتَمَّ تَوْقِيعُ الْمُعَاهَدَةِ، فَجَنَحَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمُسَالَمَةِ، فَقَالَ لِأَبِيهِ: «دَعْهُ لِي»، فَقَالَ: هَذَا أَوَّلُ الْقَضِيَّةِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَا مُحَمَّدُ.

هَذَا أَوَّلُ اخْتِبَارٍ لِهَذِهِ الْمُعَاهَدَةِ فِي بُنُودِهَا.

وَكَانَ فِي الْمُعَاهَدَةِ: أَنَّ مَنْ جَاءَ إِلَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، رَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى

الْكَافِرِينَ، وَمَنْ جَاءَ إِلَى الْكَافِرِينَ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَيْسُوا بِمُلْزَمِينَ أَنْ يَرُدُّوهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

كَانَتْ شُرُوطُ الْمُعَاهَدَةِ مُجْحِفَةً ظَاهِرًا، فَقَالَ: «**هَبْهُ لِي**».

قَالَ: هَذَا أَوَّلُ الْقَضِيَّةِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي جَنْدَلٍ: «**سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَكَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا**».

ذَهَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ وَهُوَ يَرْفَعُ بِذِرَاعِهِ سَيْفَهُ مِنْ جِرَابِهِ يُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ لَهُ: إِنَّمَا هُمُ الْمُشْرِكُونَ وَدَمُ أَحَدِهِمْ لَا يَزِيدُ عَلَى دَمِ كَلْبٍ، يُرِيدُ أَنْ يَسْتَلَّ الرَّجُلُ سَيْفَ عُمَرَ لِيَقْتُلَ بِهِ أَبَاهُ، قَالَ عُمَرُ: فَضَنَّ الرَّجُلُ بِدَمِ أَبِيهِ.

يُرِيدُ الْكُفَّارُ الْمُجْرِمُونَ تَوْهِينَ صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَزِيمَةَ الْمُسْلِمِينَ نَفْسِيًّا، فَتَتَغَيَّرُ طَرِيقَةُ الدَّعْوَةِ، وَيَتِمُّ التَّنَازُلُ عَنْ بَعْضِ الْأُصُولِ، حَتَّى لَرُبَّمَا تَنَازَلَ الْمُتَنَازِلُونَ عَنِ الْأُصُولِ كُلِّهَا، وَحِينَئِذٍ يَصِيرُونَ إِلَى التَّبْرِيرِ، وَإِلَى الرَّدِّ عَلَى تُهَمِ الْقَوْمِ وَافْتِرَاءَاتِهِمْ، فَيَصِيرُونَ أَبَدًا فِي قَفَصِ الاتِّهَامِ، لَا يَعْرِضُونَ حَقِيقَةَ الدِّينِ، وَإِنَّمَا هُمْ فِي مَوْقِفِ الْمُدَافِعِ لَا فِي مَوْقِفِ الْعَارِضِ لِدِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى خَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ.

وَالْبَشَرِيَّةُ كُلُّهَا فِي حَاجَةٍ إِلَى الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فِي حَاجَةٍ ضَرُورِيَّةٍ مُلِحَّةٍ وقَهْرِيَّةٍ، قَدْ لَا تَدْرِي الْبَشَرِيَّةُ حَاجَتَهَا إِلَى ذَلِكَ، فَلَا بَأْسَ فَإِنَّ الْمَرِيضَ قَدْ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ مَرِيضٌ؛ بَلْ إِنَّهُ إِذَا جُوبِهَ بِأَنَّهُ مَرِيضٌ وَفِي حَاجَةٍ إِلَى الْعَرْضِ عَلَى طَبِيبٍ، رُبَّمَا أَدَلَّ بِقُوَّةٍ مَزْعُومَةٍ وَعَافِيَةٍ مَفْقُودَةٍ، وَرُبَّمَا زَعَمَ أَنَّهُ لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى

مُعَالِجٍ وَلَا دَوَاءٍ، لَكِنَّ الْحَقِيقَةَ تَظَلُّ رَاسِخَةً، أَنَّهُ مَرِيضٌ وَأَنَّهُ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْعِلَاجِ وَالدَّوَاءِ.

وَكَذَا الْبَشَرِيَّةُ لَوِ ادَّعَتِ الْيَوْمَ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِحَاجَةٍ إِلَى الْعِلَاجِ وَالدَّوَاءِ، هِيَ فِي أَمَسِّ حَاجَتِهَا إِلَى الْعِلَاجِ وَالدَّوَاءِ.

وَالْعِلَاجُ وَالدَّوَاءُ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا جَاءَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ، نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَبِكِتَابِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ اللَّهِ، وَنُؤْمِنُ بِرَسُولِ اللَّهِ وَبِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

تُصَابُ الدَّعْوَةُ فِي مَقْتَلٍ: عِنْدَمَا يَتَحَوَّلُ الدُّعَاةُ إِلَى مُبَرِّرِينَ مُدَافِعِينَ، وَالتُّهَمُ تَنْهَالُ عَلَيْهِمْ بِوَقْعِ كَوَقْعِ النَّبْلِ، فَكُلَّمَا فَرَغُوا مِنْ شُبْهَةٍ جَاءَتْهُمْ شُبْهَةٌ، وَقَدْ

يَتَوَلَّدُ مِنْ رَدِّهِمْ عَلَى الشُّبْهَةِ شُبْهَةٌ، فَأَيْنَ بَيَانُ دِينِ رَبِّنَا، وَأَيْنَ بَلَاغُ أَمْرِ نَبِيِّنَا لِلْعَالَمِينَ.

إِنَّ حَقِيقَةَ الدَّعْوَةِ قَائِمَةٌ فِي تَوْحِيدِ رَبِّ الْعِبَادِ، وَهَذَا مَا عَرَضَهُ الْمُرْسَلُونَ أَوَّلَ شَيْءٍ عَلَى أَقْوَامِهِمْ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: الآية ٥٩].

عُدْ عَبْدًا لِلَّهِ كَمَا خَلَقَكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، لَسْتَ أَصِيلًا فِي الْكَوْنِ وَلَا سَيِّدًا، أَنْتَ عَبْدٌ مُسَخَّرٌ مَرْبُوبٌ مَقْهُورٌ، لَا تَمْلِكُ لِنَفْسِكَ حَوْلًا وَلَا حِيلَةً، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَ فِي الْحَقِيقَةِ شَيْئًا، فَعُدْ عَبْدًا كَمَا خَلَقَكَ اللَّهُ، طَائِعًا لِلَّهِ مُوَحِّدًا لِلَّهِ، مُتَّبِعًا لِهَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

نَسْتَلُّ مِنَ الْقُلُوبِ كِبْرَهَا، بِاسْتِلَالِ شِرْكِهَا؛ لِأَنَّ الشِّرْكَ يُولِّدُ الْكِبْرَ، وَهَذَا الْكِبْرُ فِي الْقَلْبِ مَاحِقٌ لِلْإِيمَانِ فِيهِ.

وَ«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»[1].

نُعِيدُ النَّاسَ إِلَى حَقِيقَةِ الْعُبُودِيَّةِ الْحَقَّةِ؛ لِيكُونُوا كَمَا خَلَقَهُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ شَرْعًا لَا قَدَرًا، فَهَذَا هُوَ خَلْقُهُمْ قَدَرًا.

وَأَمَّا خَلْقُهُمْ شَرْعًا: فَقَدْ خَلَقَهُمُ اللَّهُ لِعِبَادَتِهِ، سَاجِدِينَ رَاكِعِينَ، طَائِعِينَ مُنِيبِينَ، مُوَحِّدِينَ مُتَبَتِّلِينَ مُتَسَنِّنِينَ.

حَقِيقَةُ الدَّعْوَةِ: أَنْ نَعْرِضَ الْإِسْلَامَ عَلَى الْعَالَمِ كُلِّهِ، بِحَالِ عِزَّةٍ وَفَخْرٍ؛ إِذْ شَرَّفَنَا اللَّهُ بِالِانْتِمَاءِ إِلَيْهِ، وَضَلَّ عَنْ حَقِيقَتِهِ أَقْوَامٌ.

---

(١) لفظ حديث أخرجه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

نَصِيرُ الْآنَ إِلَى حَقِيقَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ، بِتَوْحِيدِ الرَّبِّ الْعَلَّامِ، وَاتِّبَاعِ النَّبِيِّ الْهُمَامِ ﷺ، لَا نُرَقِّعُ دِينَنَا وَلَا نَسْتَوْرِدُ لِدِينِنَا مَا هُوَ عَنْهُ غَنِيٌّ، بَلْ مَا نَحْنُ بِهِ كَافِرُونَ.

كُلُّ مَا أُدْخِلَ فِي دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَرْدُودٌ، وَمَنْ أَحْدَثَ فِي دِينِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ؛ أَيْ: فَهُوَ مَرْدُودٌ لَا قِيمَةَ لَهُ، بَلْ هُوَ تَحْتَ مَوَاطِئِ الْأَقْدَامِ.

الْقَوْمُ الْيَوْمَ فِي دَعْوَتِهِمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ مَهْزُومُونَ، مَهْزُومُونَ هَزِيمَةً صَارُوا فِيهَا يَنْطِقُونَ بِأَلْسِنَةِ أَعْدَاءِ الدِّينِ، يَقُولُونَ: إِنَّ فِي الْإِسْلَامِ دِيمُقْرَاطِيَّةً، وَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَبْحَثَ عَنْ قَوَاعِدِهَا لِنُطَبِّقَهَا عَلَى الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، يَا عَجَبًا!! أَيُلْبَسُ الْمُجْتَمَعُ الْمُسْلِمُ ثَوْبَ الْكُفْرِ، مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْتَرِضَ مُعْتَرِضٌ،

إِنَّ هَذَا لَعَجِيبٌ!

الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ: هِي حُكْمُ الشَّعْبِ بِالشَّعْبِ، السِّيادَةُ فِيهَا لِلشَّعْبِ.

وَهِي مَبْنِيَّةٌ عَلَى نَظَرِيَّةِ الْعَقْدِ الِاجْتِمَاعِيِّ، قُرِّرَتْ النَّظَرِيَّةُ قَدِيمًا، وَفُعِّلَتْ فِي أُورُوبَّا بَعْدُ، فَفَلْسَفَهَا (هُوبْزُ، وَلُوكُ، وَرُوسُّو)، وَجَاءُوا بِمَا يُسَمَّى الْعَقْدَ الِاجْتِمَاعِيَّ.

وَلُحْمَتُهَا وَسَدَاهَا كَفْرٌ فِي كُفْرٍ؛ لِأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ: أَنَّ بَشَرًا فِي مَكَانٍ تَعَاقَدُوا بَيْنَهُمْ عَقْدًا، عَلَى أَنْ يَضَعُوا الْمَوَاثِيقَ وَالْقَوَانِينَ الَّتِي تَحْكُمُهُمْ وَهُمْ يُشَرِّعُونَهَا، وَإِذَا تَعَاقَدُوا عَلَى نَقْضِهَا بَعْدُ، فَلَهُمْ ذَلِكَ، فَهُمْ يُشَرِّعُونَ لِأَنْفُسِهِمْ.

وَمَبْنَى ذَلِكَ سَلَفًا، أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْبَشَرَ كَانُوا فِي

الْأَرْضِ بِلَا وَحْيٍ، فَلَا وَحْيَ يَتَنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَا رِسَالَةَ بَيْنَهُمْ، وَإِنَّمَا الْبَشَرُ كَسَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ، كَسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ، فِي فَجْرِ تَارِيخِهِمُ الْإِنْسَانِيِّ، بِلَا نِظَامٍ وَبِلَا قَانُونٍ، ثُمَّ مِنْ تَجَارِبِهِمْ فِي الْحَيَاةِ، يَعْقِدُونَ عَقْدًا اجْتِمَاعِيًّا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَحْكُمُوا بِمَا يُشَرِّعُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ.

فَهِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى قَطْعِ الصِّلَةِ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ: كُفْرٌ وَإِلْحَادٌ.

أَهَذَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُفَصَّلًا عَلَى قَدِّ الْإِسْلَامِ، أَيُلْبَسُ الْإِسْلَامُ ثَوْبَ الْكُفْرِ؟

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ!

إِنَّ الْإِسْلَامَ فِي أَوَّلِ دَعْوَتِهِ وَوَسَطِهَا وَمُنْتَهَاهَا، يُحَارِبُ الشِّرْكَ، وَيُحَارِبُ الْكُفْرَ، وَيُؤَسِّسُ التَّوْحِيدَ؛

إِذْ هُوَ دِينُ التَّوْحِيدِ، وَبِهِ جَاءَ الْمُرْسَلُونَ أَجْمَعُونَ، وَخَاتَمُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ افْتَتَحَ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ، بِالدَّعْوَةِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، يَدُورُ عَلَيْهِمْ فِي أَسْوَاقِهِمْ، وَفِي أَنْدِيتِهِمْ وَفِي مُجْتَمَعَاتِهِمْ، يَقُولُ: «**قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا**»(١).

ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرُهُ بَعْدُ، دَاعِيًا إِلَيْهِ، مُحَارِبًا دُونَهُ، مُجَاهِدًا عَلَيْهِ، فَاضْطُهِدَ وَحُوصِرَ ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ فِي الشِّعْبِ جَائِعًا، لَا يُبَاعُ إِلَيْهِ وَلَا يَبْتَاعُ، وَلَا يُنْكَحُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَلَا هُمْ إِلَى الْمُشْرِكِينَ.

حُوصِرُوا فِي الشِّعْبِ ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ، وَاضْطُهِدُوا؛

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٠٢٣، ١٦٦٠٣، ١٩٠٠٤)، والدارقطني (١٨٦)، والحاكم (١/ ١٥)، وأورده الألباني في صحيح السيرة برقم (١٤٢).

فَمِنْهُمْ مَنْ مَاتَ شَهِيدًا يَلْقَى رَبَّهُ حَمِيدًا .

وَمِنْهُمْ مَنْ عُذِّبَ بِالنَّارِ تَارَةً؛ كَمَا صُنِعَ بِخَبَّابٍ؛ إِذْ جُعِلَ الْجَمْرُ الْمَحْمِيُّ فِي النَّارِ فِي ظَهْرِهِ فَلَمْ يُطْفِئْ الْجَمْرَ إِلَّا الدُّهْنُ، إِلَّا الْوَدَكُ يَسِيلُ مِنْ ظَهْرِ خَبَّابٍ[1].

وَتُحْمَى ظُهُورٌ عَلَى رِمَالٍ مُحْتَرِقَةٍ فِي الْقَيْظِ بِحَمَّارَتِهِ، فَمَا يَزِيدُ مَنْ يُحْمَى عَلَى جِلْدِهِ فِيهَا عَنْ قَوْلِهِ: أَحَدٌ أَحَدٌ، أَحَدٌ أَحَدٌ[2].

وَيُمَرَّرُ الْعُودُ الْمَحْمِيُّ فِي النَّارِ أَمَامَ عَيْنَيْ زِنِّيرَةَ

---

(١) انظر: أسد الغابة (١/ ٣١٥)، والاستيعاب (١/ ١٣٠)، وحلية الأولياء (١/ ١٤٤).

(٢) قالها بلال ﷺ كما أخرجه ابن ماجه (١٥٠)، وأحمد (٣٨٣٢)، والحاكم (٣/ ٢٨٤)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٢٢).

حَتَّى عَمِيَتْ عَيْنَاهَا رضي الله عنها[١].

يُعَذَّبُونَ يُشَرَّدُونَ يُقَتَّلُونَ، وَالتَّوْحِيدُ قَائِمٌ، وَالْمُهَادَنَةُ مُنْتَفِيةٌ، وَالدَّعْوَةُ مَاضِيةٌ، حَتَّى عَلِمَهَا الْكَافِرُونَ أَنْفُسُهُمْ، حَتَّى قَالَ أَبُو سُفْيَانَ لِهِرَقْلَ، وَقَدْ سَأَلَهُ عَمَّا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ لَمَّا يَزَلْ بَعْدُ مُشْرِكًا، فَقَالَ: يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ نَدَعَ مَا يَقُولُ آبَاؤُنَا[٢].

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ٥٩]، وَدَعُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَمَا يَقُولُ أَحْبَارُكُمْ، وَمَا يَقُولُ رُهْبَانُكُمْ، فَإِنَّهُمْ يُضِلُّونَكُمْ عَنْ حَقِيقَةِ

(١) انظر: أسد الغابة (١/ ١٣٥٦)، والاستيعاب (٢/ ٩٧)، والإصابة (٧/ ٦٦٤)، ومعرفة الصحابة (٦/ ٣٣٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الدِّينِ، لَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ وَاضِحًا مِنَ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ.

وَالرَّسُولُ ﷺ فِي السِّلْمِ يُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ، وَفِي الْحَرْبِ يُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، لَمَّا مَرُّوا -وَكَانُوا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ- عَلَى شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ وَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى حُنَيْنٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ، قُلْتُمْ كَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾** [الأعراف: الآية ١٣٨]»[1].

يُعَلِّمُ التَّوْحِيدَ فِي السِّلْمِ وَالْحَرْبِ، رَاكِبًا وَمَاشِيًا

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، وأحمد (٢٢٣٧١)، وابن حبان (٦٧٠٢)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (٧٦)، والمشكاة (٥٣٦٩).

وَقَائِمًا وَقَاعِدًا وَعَلَى جَنْبٍ، حَتَّى وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ ﷺ، جَعَلَ عَلَى وَجْهِهِ قَطِيفَةً، فَكُلَّمَا اغْتَمَّ بِهَا، رَفَعَهَا وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ، يَقُولُ: «**لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا[1].

الرَّسُولُ ﷺ إِلَى اللَّحْظَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ عُمُرِهِ، يَدْعُو إِلَى حَقِيقَةِ الدِّينِ.

يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَعَدَمِ الْإِشْرَاكِ بِهِ.

إِذَا لَمْ نَعْرِضِ الْإِسْلَامَ عَرْضًا صَحِيحًا، فَكَيْفَ يَعْرِفُهُ النَّاسُ؟

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٤، ٤٤٤٤، ٥٨١٦)، ومسلم (٥٣١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

إِذَا لَمْ نُبَيِّنْ لِلنَّاسِ دِينَ اللَّهِ، فَمَنْ يُبَيِّنُ الدِّينَ لِلنَّاسِ؟

إِذَا لَمْ نَحْمِلْ أَمَانَةَ اللَّهِ، لِنُؤَدِّيَهَا لِخَلْقِ اللَّهِ فِي أَرْضِ اللَّهِ، فَمَنْ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ دُونَنَا؟

إِنْ خُنَّا أَمَانَةَ اللَّهِ، فَمَنْ ذَا يُؤْتَمَنُ بَعْدَنَا؟.

يُرِيدُ الْقَوْمُ الْيَوْمَ: أَنْ يُلْبِسُوا الْإِسْلَامَ ثَوْبَ الشِّرْكِ، بِإِلْبَاسِهِ تِلْكَ النَّظَرِيَّاتِ، وَهِيَ كُفْرِيَّةٌ لُحْمَةً وَسَدَى، يُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا مَا أُسِّسَ عَلَى الْبَاطِلِ وَالْكُفْرِ، مَعْمُولًا بِهِ فِي دِيارِ الْإِسْلَامِ مُطَبَّقًا عَلَى أَهْلِهِ!!.

وَهَيْهَاتَ! لَا يَسْتَقِيمُ ذَلِكَ حَتَّى تَجْمَعَ الْمَاءَ وَالنَّارَ فِي يَدِكَ.

وَهَيْهَاتَ! لَا يَجْتَمِعَانِ أَبَدًا، الْإِسْلَامُ دِينُ اللَّهِ،

وَحَقِيقَتُهُ يَنْبَغِي أَنْ يُدْعَى إِلَيْهَا كَمَا جَاءَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُفَهِّمَنَا حَقِيقَةَ الدِّينِ، وَأَنْ يُقِيمَنَا عَلَى الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ مَا عِشْنَا وَأَنْ يَقْبِضَنَا عَلَيْهِ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا فِي زُمْرَةِ مَنْ بَلَّغَنَاهُ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

* * *

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ حَقِيقَةَ الدِّينِ لَا تَنَازُلَ فِيهَا بِحَالٍ، حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ -تَوْحِيدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ-، حَقِيقَةُ الِاتِّبَاعِ -اتِّبَاعِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ- لَا تَنَازُلَ فِي تِلْكَ الْحَقِيقَةِ بِحَالٍ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ بَلَّغَ الْبَلَاغَ الْمُبِينَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ كَمَا حَمَّلَهُ إِيَّاهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ.

وَأَتْبَاعُهُ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، عَلَيْهِمْ أَنْ يَظَلُّوا عَلَى ذَلِكَ النَّهْجِ سَائِرِينَ، حَتَّى لَا يَخُونُوا الْأَمَانَةَ، وَحَتَّى

لَا يَتَوَرَّطُوا فِي مَسْخِ حَقِيقَةِ الدِّينِ.

إِنَّ الْعَقْدَ الِاجْتِمَاعِيَّ يَقْضِي بِأَنَّهُ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ رَبٌّ يُعْبَدُ، وَلَا وَحْيَ نَزَلَ، وَلَا رَسُولَ أُرْسِلَ، وَلَا نَبِيَّ نُبِّئَ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ -بِزَعْمِهِمْ- إِلَهٌ يُعْبَدُ، فَالْبَشَرُ يَقُومُونَ بِأَمْرِ أَنْفُسِهِمْ، وَيُشَرِّعُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، وَهُمْ أَدْرَى بِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْإِلَهِ الْمَزْعُومِ بِزَعْمِهِمْ.

حَقِيقَةُ الْعَقْدِ الِاجْتِمَاعِيِّ: هِيَ مَا أُسِّسَ عَلَيْهَا دِينُ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ؛ لِأَنَّ الدِّيمُقْرَاطِيَّةَ تَعْنِي: أَنَّ السِّيادَةَ لِلشَّعْبِ، وَالسِّيادَةَ الشَّعْبِيَّةَ، مَا أَرَادَهُ الشَّعْبُ لَا مَا أَرَادَهُ اللَّهُ، هِيَ مَا أَرَادَهُ الشَّعْبُ لَا مَا أَرَادَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بِإِجْمَاعٍ، يَكْفِي أَنْ يَكُونَ بِالْأَغْلَبِيَّةِ، فَإِذَا كَانَتْ أَغْلَبِيَّةٌ مُنْحَرِفَةٌ، تُرِيدُ الْإِبَاحِيَّةَ وَالشُّذُوذَ، فَلْيَكُنْ، لَا يَكُونُ مَا يُرِيدُهُ اللَّهُ،

لَا يَكُونُ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

السَّيِّدُ اللَّهُ، وَالْمُشَرِّعُ اللَّهِ، لَا مُشَرِّعَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَا اعْتِدَاءَ عَلَى مَا هُوَ لِلَّهِ خَالِصَةً، فَهَذَا انْعِتَاقٌ مِنْ رِبْقَةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، ثُمَّ يَنْبَثِقُ مِنْهَا السِّيادَةُ الشَّعْبِيَّةُ، وَلَا سِيَادَةَ فَوْقَ سِيَادَةِ الشَّعْبِ، وَمَنْصُوصٌ عَلَى ذَلِكَ فِي كُلِّ الدَّسَاتِيرِ، حَتَّى عِنْدَ الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ.

فَالْمَادَّةُ الثَّالِثَةُ مِنَ الدُّسْتُورِ الْمِصْرِيِّ: تَنُصُّ عَلَى أَنَّ السِّيادَةَ لِلشَّعْبِ، وَأَنَّ الشَّعْبَ هُوَ مَصْدَرُ السُّلُطَاتِ، وَكَذَلِكَ الدُّسْتُورُ السُّورِيُّ، وَالأُرْدُنِيُّ، وَالْكُوَيْتِيُّ، كُلُّ الدَّسَاتِيرِ فِي الْمِنْطَقَةِ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ، وَمِنَ الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ، تَنُصُّ عَلَى

قَاعِدَةِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ فِي سِيادَةِ الشَّعْبِ.

فَأَيْنَ سِيادَةُ اللَّهِ؟

وَأَيْنَ سِيادَةُ شَرْعِ اللَّهِ؟

يُؤَسَّسُ ذَلِكَ عَلَى السُّلْطَةِ التَّشْرِيعِيَّةِ: يُشَرِّعُونَ لِأَنْفُسِهِمْ عَلَى مُقْتَضَى الْعَقْدِ الِاجْتِمَاعِيِّ وَمَبْدَأِ السِّيَادَةِ، ثُمَّ تَأْتِي سُلْطَةٌ تَنْفِيذِيَّةٌ، وَسُلْطَةٌ قَضَائِيَّةٌ، تَفْصِلُ فِي الْخُصُومَاتِ بَيْنَ السُّلْطَتَيْنِ، وَبَيْنَ أَبْنَاءِ كُلِّ سُلْطَةٍ.

وَالسُّلْطَةُ التَّشْرِيعِيَّةُ فِي النُّظُمِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ هِيَ أَعْلَى السُّلُطَاتِ، وَالسِّيادَةُ فِيهَا هِيَ السِّيَادَةُ الْمُطْلَقَةُ، فِيمَا يُعْرَفُ بِسِيَادَةِ الْقَانُونِ.

فَأَيْنَ سِيَادَةُ كِتَابِ اللَّهِ؟

وَأَيْنَ سِيادَةُ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟

وَأَيْنَ سِيادَةُ دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟.

إِذَا قَالَتِ الْجَمَاعَةُ فِي أَيِّ بُقْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، عَلَى حَسَبِ الْعَقْدِ الِاجْتِمَاعِيِّ: لَا نَقْطَعُ يَدَ السَّارِقِ فَهِي وَحْشِيَّةٌ؛ لَا تُقْطَعُ إِذْ هِي وَحْشِيَّةٌ!! وَلَا يُجْلَدُ الزَّانِي؛ إِذْ هِي وَحْشِيَّةٌ، وَعَوْدَةٌ إِلَى الْعُصُورِ الْبِدَائِيَّةِ!! إِذَنْ يُنَحَّى كِتَابُ اللَّهِ جَانِبًا، وَتُسْتَدْبَرُ سُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ لِإِرَادَةِ الشَّعْبِ.

أَيُّ شَعْبٍ؟!

الشَّعْبُ عَبِيدٌ لِلَّهِ، مُسَخَّرُونَ مَرْبُوبُونَ مَقْهُورُونَ، جَاءَهُمُ الدِّينُ لِيَحْكُمَ عَلَيْهِمْ، وَيَحْكُمَ فِيهِمْ، وَيُحَكَّمَ بِهِ، لَا لِيَحْكُمُوا هُمْ عَلَيْهِ، هَذَا انْعِتَاقٌ مِنْ رِبْقَةِ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

انْهَزَمَ أَقْوَامٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، مِنَ النَّاطِقِينَ بِلِسَانِنَا، وَالدَّاعِينَ إِلَى مِلَّتِنَا، فَصَارُوا دَاعِينَ إِلَى إِلْبَاسِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ ثَوْبَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالطُّغْيَانِ.

وَلَا تُرِيدُ تِلْكَ الْقُوَّةُ الْغَرْبِيَّةُ -الَّتِي تُحَارِبُ الْإِسْلَامَ وَتُعَانِدُهُ وَتُنَاوِئُهُ- مِنْ تَطْبِيقِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَصْلَحَةَ تِلْكَ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَإِنَّمَا هِيَ الْحِيلَةُ لِتَبْدِيلِ الدِّيانَةِ، وَمَحْوِ الشَّرِيعَةِ، وَمَحْقِ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ الْغَرَضُ الْمَصْلَحِيُّ وهو نَهْبُ الثَّرْوَاتِ، وَإِلَّا فَإِنَّهُمْ لَا يُطَبِّقُونَ مَبَادِئَ الْحُرِّيَّةِ، وَلَا مَبَادِئَ الْعَدَالَةِ، وَلَا مَبَادِئَ الْمُسَاوَاةِ، الَّتِي رُفِعَتْ شِعَارَاتٌ لِلشُّعُوبِ الْمَطحونَةِ.

إِذْ إِنَّ الْغَالِبَ عَلَى أَرْضِ اللَّهِ فِي مُجْتَمَعَاتِ النَّاسِ، أَنَّهَا لَا تُطَبِّقُ أَحْكَامَ اللَّهِ، فِي الْغَالِبِ أَوْ فِي

الْأَغْلَبِ، لَا تُطَبِّقُ أَحْكَامَ اللَّهِ، وَنُظُمُهَا مُسْتَبِدَّةٌ فَاسِدَةٌ وَعَتِيدَةٌ، وَفِي الْجُمْلَةِ: مُجْرِمَةٌ وَعَنِيدَةٌ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ مِمَّنْ طَبَّقَ شَرْعَ اللَّهِ.

وَتَكُونُ الْبِيئَةُ مُمَهَّدَةً، وَحَرْثُ التُّرْبَةِ مُيَسَّرًا، مِنْ أَجْلِ زَرْعِ تِلْكَ النُّظُمِ، تَأْتِيكُمْ بِالْحُرِّيَّةِ، تَرْفَعُ عَنْكُمْ نِيرَ الاسْتِبْدَادِ، تَعْدِلُ فِي تَوْزِيعِ الثَّرْوَاتِ، وَلَا عَلَيْكُمْ إِذَا مُحِيَ عَنْكُمْ دِينُكُمْ، لِأَنَّكَ بَعْدَ حِينٍ تَقْتَنِعُ -شِئْتَ أَمْ أَبَيْتَ- أَنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَنْفَعِ الْمُجْتَمَعَاتِ الَّتِي دَانَتْ بِهِ وَالَّتِي تَمَسَّكَتْ بِهِ.

وَلِقَائِلٍ حِينَئِذٍ أَنْ يَقُولَ: فَمَا الَّذِي اسْتَفَدْنَاهُ مِنْ قُرُونٍ مُتَطَاوِلَاتٍ صِرْنَا فِيهَا أَحَطَّ الْأُمَمِ، وَأَذَلَّ الْأَقْوَامِ، وَاسْتَشْرَى فِينَا الْجُوعُ وَالْفَقْرُ وَالْمَرَضُ، وَتَقَدَّمَ غَيْرُنَا وَلَيْسُوا هُمْ عَلَى دِينِ اللَّهِ الْعَظِيمِ؟؟

وَهَذَا كُلُّهُ بَاطِلٌ فِي بَاطِلٍ، فَمَا ضِعْنَا إِلَّا لَمَّا ضَيَّعْنَا الْإِسْلَامَ، لَمَّا ضَيَّعْنَا الْإِسْلَامَ ضِعْنَا، وَلَوْ أَنَّنَا تَمَسَّكْنَا بِهِ لَدَانَتْ لَنَا الدُّنْيَا كُلُّهَا، وَلَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ الْآخَرِينَ لَا يَفْهَمُونَ حَقِيقَةَ الدِّينِ؛ بَلْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَفْهَمُ حَقِيقَةَ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، مَا لَا يَفْهَمُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

لِذَلِكَ: نَضْحَكُ سَاخِرِينَ مِنْ مَشْرُوعَاتِ أَقْوَامٍ، يَذْهَبُونَ إِلَى الطُّغَاةِ، إِلَى أَهْلِ الْكُفْرِ فِي دِيارِهِمْ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ يُجَمِّلُوا عِنْدَهُمْ صُورَةَ الْمُسْلِمِ وَالْإِسْلَامِ، كَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا هُوَ عَدُوٌّ صَنَعُوهُ، مِنْ أَجْلِ اسْتِلَابِ الثَّرْوَاتِ، وَتَرْوِيجِ الْمُنْتَجَاتِ، وَالحُصُولِ عَلَى الْمَوَادِّ الْخَامِ، وَالْأَيْدِي الْعَامِلَةِ الرَّخِيصَةِ، وَلِيَبْقَى الْجَنُوبُ فَقِيرًا أَبَدًا تَحْتَ خَطِّ الْفَقْرِ، فَلَيْسُوا مِنَ الْأَنَاسِيِّ؛ إِذْ لَيْسُوا مِمَّنْ يَمُتُّونَ إِلَى السَّيِّدِ الْأَبْيَضِ فِي الشَّمَالِ، بِصِلَةٍ

وَلَا نَسَبٍ!!

وَعَلَيْهِ فَكَأَنَّهَا الْقَاعِدَةُ الصُّهْيُونِيَّةُ الْيَهُودِيَّةُ، الَّتِي يُعَامِلُ بِهَا الْيَهُودُ الأُمَمِيِّينَ، وَأَنَّهُمْ أَحَطُّ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ، لَمْ يَبْلُغُوا بَعْدُ مَرْتَبَةَ الْحَيَوَانَاتِ.

هُمْ يَعْلَمُونَ مَنْ يُحَارِبُونَ؛ لِذَلِكَ لَمَّا حَارَبُوا النَّازِيَّةَ وَالفَاشِيَّةَ فِي الْحَرْبِ الْكُبْرَى الْأُوْلَى، صَارَتِ الدِّعَايَاتُ وَمَا زَالَتْ لَاصِقَةً آثَارُهَا بِالْأَذْهَانِ إِلَى الْيَوْمِ، مُسْتَقِرَّةً فِي حَبَّاتِ الْقُلُوبِ إِلَى الْآنَ، صَارَتِ الدِّعَايَاتُ ضِدَّ النَّازِيِّينَ وَالْفَاشِيِّينَ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ خَرَجَ مِنَ الْغَرْبِ الصَّلِيبِيِّ مُنْتَصِرًا، جَاءَتْ بَعْدَ ذَلِكَ تِلْكَ الْحَرْبُ الْبَارِدَةُ، وَصَارَتْ كَلِمَةُ الشُّيُوعِيَّةِ مُلْصَقًا بِهَا كُلُّ رَذِيلَةٍ، مُضَافًا إِلَيْهَا كُلُّ نَقِيصَةٍ، وَهُوَ كَذَلِكَ، حَتَّى اضْطُرَّ «خُرْشُوفُ» أَنْ يَقِفَ فِي الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ،

لِكَيْ يُقْسِمُ بِكُلِّ إِلَهٍ لَا يَعْبُدُهُ -إِذْ هُوَ مُلْحِدٌ كَافِرٌ- أَنَّهُمْ فِي رُوسِيا لَا يَأْكُلُونَ الْبَشَرَ!! فَالدَّعَايَاتُ فِي التَّشْوِيهِ كَانَتْ قَدْ بَلَغَتْ مَبَالِغَهَا، ثُمَّ لَمَّا انْهَارَ الاتِّحَادُ السُّوفِيِيتِيُّ، وَتَسَاقَطَتِ الدُّوَلُ الِاشْتِرَاكِيَّةُ، دَوْلَةً بَعْدَ دَوْلَةٍ، اتُّخِذَ الْإِسْلَامُ عَدُوًّا، وَهُوَ عَدُوٌّ تَلِيدٌ مُنْذُ الْقِدَمِ، وَلَكِنْ صَارَ الْمُسْلِمُ الْيَوْمَ، مُرَادِفًا لِلإِرْهَابِيِّ، وَصَارَ الْإِسْلَامُ الْيَوْمَ، دِينَ إِرْهَابٍ وَوَحْشِيَّةٍ، هَذَا كُلُّهُ صَنَعُوهُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُهْزَمُ الْمُسْلِمُ هَزِيمَةً نَفْسِيَّةً.

إِنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا فَأَنْتَ أَعْلَى؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٣٩].

الْعِزَّةُ لَكُمْ، وَالْمَجْدُ لَكُمْ، وَالْكَرَامَةُ لَكُمْ.

أَنْتَ تَعْبُدُ اللَّهَ وَتُوَحِّدُهُ، وَغَيْرُكَ يَكْفُرُهُ وَيُشْرِكُ بِهِ.

أَنْتَ لَا تَسْجُدُ لِأَحَدٍ وَلَا لِشَيْءٍ دُونَ اللَّهِ، وَغَيْرُكَ يَسْجُدُ لِمَخْلُوقَاتِ اللَّهِ.

أَنْتَ تَتَّبِعُ خَيْرَ الرُّسُلِ وَخَيْرَ الْبَشَرِ، وَغَيْرُكَ يَتَّبِعُ زِبَالَاتِ الْأَذْهَانِ، وَنُفَايَاتِ الْأَفْكَارِ، وَقُمَامَاتِ الْأُمَمِ.

أَنْتَ مُسْلِمٌ تَعْتَزُّ بِإِسْلَامِكَ، فَاسْتَعْلِ بِإِيمَانِكَ، لَا تَكُنْ وَضِيعًا وَلَا ذَلِيلًا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجْتَمِعُ مَعَ الْإِسْلَامِ فِي قَرَنٍ.

الْإِسْلَامُ: دِينُ الْعِزَّةِ، دِينُ الرِّفْعَةِ، دِينُ الْكَرَامَةِ، كَمَا أَنَّهُ دِينُ الْعَدْلِ، وَنَفْيِ الْجَوْرِ، يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَلَّا نَلْتَفِتَ إِلَى مَا يُشِيعُهُ الْآخَرُونَ، مِنْ وَسَائِلَ لِهَزِيمَةِ الْمُسْلِمِينَ نَفْسِيًّا، الْحَقُّ قُوَّتُهُ فِيهِ، وَالْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُضْطَهَدٌ دَوْمًا، فَلَا تَبْتَئِسْ.

وَلَكِنَّ النَّصْرَ لَهُ، النَّصْرُ لِلْحَقِّ وَإِنْ بَدَا فِي عَيْنِ الْمَرْءِ ضَعِيفًا.

الرِّفْعَةُ لِلْحَقِّ، وَإِنْ بَدَا بَادِيَ الرَّأْيِ مَهِينًا.

وَالْعِزَّةُ لِلْحَقِّ لِأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ.

وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَنْصُرُ أَوْلِيَاءَهُ، وَيَخْذُلُ أَعْدَاءَهُ، لَا تَسْتَهِينُوا بِالنِّعْمَةِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِهَا، ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٩]، اعْتَزَّ بِإِسْلَامِكَ وَلَا تَنْهَزِمْ.

إِنَّ الَّذِي قَالَ بِقَطْعِ يَدِ السَّارِقِ، هُوَ اللَّهُ، وَالَّذِي قَالَ بِجَلْدِ ظَهْرِ الْقَاذِفِ وَالزَّانِي الْبِكْرِ، هُوَ اللَّهُ، وَالَّذِي أَمَرَ بِرَجْمِ الزَّانِي الْمُحْصَنِ، رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَالدِّينِ لَيْسَ وَقْفًا عَلَى الْحُدُودِ، فَهِيَ جُزْءٌ مِنْهُ.

تَعَلَّمْ دِينَ رَبِّكَ الَّذِي شَرَّفَكَ بِالانْتِمَاءِ إِلَيْهِ، وَلَا تُضَيِّعْ وَقْتَكَ وَعُمُرَكَ وَرَأْسَ مَالِكَ، فِي قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَالتَّسَكُّعِ عَلَى أَبْوَابِ الْأَفْكَارِ، وَإِلَّا لتَحَرَّفْنَا عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَقَدْ بَلَّغْتُكَ، وَاللَّهُ يَرْعَاكَ، وَهُوَ مَوْلَايَ وَمَوْلَاكَ، وَهُوَ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

* * *

أُلْقِيَتْ هَذِهِ الْخُطْبَةُ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ فِي:
يَوْمَ الجُمُعَةِ : ٣ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ ١٤٣٢هـ
الْمُوافِق: ٦-٥-٢٠١١م
بالمَسْجِدِ الشَّرْقِيِّ، بِسُبْكِ الْأَحَدِ مِنْ أَعْمَالِ مُدِيرِيَّةِ الْمُنُوفِيَّةِ، بِمِصْرَ -حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى-

فِهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الإِسْلَامُ يُوَاجِهُ أَكْبَرَ التَّحَدِّيَاتِ وَالصُّعُوبَاتِ مِنْ اللَّحْظَةِ الْأُولَى ٦
وُضُوحُ دَعْوَةِ النَّبِي ﷺ مِنَ اللَّحْظَةِ الْأُولَى .. ٩
مِحْنَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحَبَشَةِ وَصَدْعِهِمْ بِالْحَقِّ .. ١١
خَطَرُ الِانْشِغَالِ فِي الرَّدِّ عَلَى الِاتِّهَامَاتِ وَتَبْرِيرِ الْأَحْكَامِ ١٧
الْفَرْقُ بَيْنَ الرِّسَالَةِ وَالْوَظِيفَةِ فِي حَقِّ الدَّاعِي ... ٢١
أَهْدَافُ الْكَافِرِينَ مِنْ وَرَاءِ إِيقَاعِ الْهَزِيمَةِ النَّفْسِيَّةِ بِالْمُسْلِمِينَ ٢٤
صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ وَمَا وَقَعَ فِيهِ ٢٥
الْبَشَرِيَّةُ كُلُّهَا فِي حَاجَةٍ إِلَى الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ .. ٢٧
حَقِيقَةُ الدَّعْوَةِ قَائِمَةٌ عَلَى تَوْحِيدِ رَبِّ الْعِبَادِ ٢٩

حَقِيقَةُ الدَّعْوَةِ: عَرْضُ الإِسْلَامِ عَلَى الْعَالَمِ كُلِّهِ بِعِزَّةٍ وَفَخْرٍ ٣٠
تَعْرِيفُ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ وَمَبْنَاهَا ٣٢
مُعَانَاةُ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّحَابَةِ ﷺ وَصَبْرُهُمْ فِي دَعْوَتِهِمْ إِلَى التَّوْحِيدِ ٣٤
لَا تَنَازُلَ عَنْ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ وَالِاتِّبَاعِ ٤١
الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ مَبْنَاهَا عَلَى سِيَادَةِ الشَّعْبِ ٤٣
مَا ضِعْنَا إِلَّا لَمَّا ضَيَّعْنَا الْإِسْلَامَ ٤٨
أَغْرَاضُ الْكُفَّارِ مِنْ تَشْوِيهِ صُورَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِ]نَ ٤٨
إِنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا فَأَنْتَ الْأَعْلَى ٥٠

* * *

www.rslan.com